● نحن والمجتمع

الفارس الأنيق الشهيد محمود قعيق

الوفاق/ وكالات

المولد والنشأة

ولد الشهيد محمود قعيق في بلدة الطيبة جنوب لبنان في العام ١٩٧٥، نشأ في عائلة ميسورة نُعنى بالشأن العلمي والأكاديمي، فوالده صاحب ثانوية "ليسيه أميكال مودرن" في حارة حريك، التي كان الشهيد يعمل ناظرًا فيها. مع هذا انتظم مبكرًا في صفوف المقاومة الإسلامية.

أخلاقه والتزامه الديني

في الليل، يخلع محمود حياته، وينزلُ ضيفاً في الحظيرة القدسية، يتجلبب سواد الليل، ويبحر في دموع توسله بأن يقبله الله، فهو لا يريد من الدنيا التي امتلك فيها أجمل البيوت، وأفخر السيارات، وموقعاً اجتماعياً مرموقاً، سوى أن يكون من المجاهدين الذين منّ الله عليهم بالشهادة.

بدايات الجهاد

كان محمود في مقتبل العمر، ينتظر الفرص السنوية ليشارك في المرابطة مع المجاهدين في العديد من المحاور المتقدمة. وكلما اشتد ساعده، خضع لدورات عسكرية تُطَوِّر من مشاركاته، وكل ذلك بعيداً عن أعين الأهل والأصحاب، فمع أنه كان الرفيق المقرّب لوالده والساعد الأيمن له، إلا أن والده لم يفكر لوهلة أن ولده قد يكون على تواصل مع المجاهدين، فالبيئة التي تربى فيها، والمجتمع الذي يحيط به، يؤمنان بإيديولوجية المقاومة ويدعمانها، دون أن تُناقش فيه يوماً فكرة الانضمام إلى صفوفها.

انتظم مبكرًا في صفوف المقاومة الإسلامية. تخصص في قسم مواجهة الدروع، حتى صار في صفوف النخبة. شارك حسان في معظم العمليات النوعية إبان الاحتلال الإسرائيلي للجنوب، ثم بعد التحرير، فكان من الطبيعي أن يكون حاضرًا في الصفوف الأولى صبيحة ١٢ تموز من العام ٢٠٠٦، ثم من الذين ثبتوا في عيتا الشعب، حين بدأت "إسرائيل" عدوانها الكبير على لبنان.

في عيتا كانت المواجهة

قبيل اندلاع الحرب، وصل محمود إلى عيتا حيث أدى المهمة الأولى له وهي إعطاب دبابة الميركافا في خلة وردة المحاذية لقرية عيتا الشعب، أثناء قيام مجموعة المجاهدين بأسر الجنديين الإسرائيليين، وطوال فترة الحرب تنقل بين قرية وأخرى بكل شجاعةٍ وإقدام، التزاماً بالتكليف، حاملاً مقبضه وصواريخ ضد الدروع.. وخلال تلك الفترة، لم تغبْ ابتسامته المشرقة، وأثناء مشاركته في الدفاع عن قرية الغندورية، أخبر أحد المجاهدين أنه رأى في منامه السيدة زينب(ع). حين دخل شهر آب اشتدت المواجهات بعد سلسلة من الإنزالات وتسلل وحدات من الجيش الصهيوني إلى أطراف عيتا الشعب. يقول أحد المقاومين - الذي أصيب لاحقًا - إن الشهيد محمود حين علم بدخول عشرات الجنود الإسرائيليين إلى أحد المنازل، تقدم برفقة بعض المقاومين وباغتوهم، فاشتبكوا معهم وأوقعوا بينهم عددًا كبيرًا من القتلى والجرحى، مع تفوق جنود العدو، عدة وعديدًا. وحين كان محمود يهم بالانسحاب بعد هذا الاشتباك العنيف ارتقى شهيدًا، إثر غارة جوية نفذها كالعادة الطيران الصهيوني، مغطيًا عجز جنود الاحتلال عن المواجهة.

النص المقاوم في منهاجنا التربوي: ميراث الآباء والأبناء

ولاء حمود
كاتبة لبنانية

على مقاعد الدراسة، تشكل حسّنا الوطني، انتماؤنا الفخور لهذا الوطن. علّمنا كتاب القراءة بلغة حميمة دافئة: "لبنان وطني، فيه نشأت، تحت سمائه ترعرعت، شربت من مياهه، تغذيت من خيراته..." وأفهمنا كتاب الجغرافيا، أن لبنان يمتد تحت أجمل سماء، وأن غربه أحلى بحار الدنيا، و شرقه مهد الشمس الذي تشرق منه على الكون و جنوبه صلة العشق بفلسطين الحبيبة... و هو كله وأصل الشرق بالغرب.

من كتاب المحفوظات، ترنمت حناجرنا الصغيرة بقصائد عشقه مغناة، ملحنةً... و طن النجوم أنا هنا حدّق أتذكر من أنا؟.. أنا من مياهك قطرة فاضت مواكب من سنا... أنا من طيورك بلبل غنّى بمجدك فاغتنى... وحده كتاب التاريخ، كان يصيبنا بالإحباط والكآبة، لأنه كان يتعاون مع صخور نهر الكلب -الفنون حاليّاً- في تأكيد مظلومية هذا الوطن الصغير، وتظهير صورته في صفحاته "ملطش عصا" لكل غازٍ من رعاة الهكسوس، الفراعنة القدماء... آشوريين، بابليين، عثمانيين ولا ننسى... الفرنسيين المنتدبين. كلهم سجلوا على صخور النهر حفريات غزوهم، وقد -وهنا المفارقة- مجّدت كتب التاريخ هؤلاء الغزاة... ووحدهما -على صفحاتها- برز صادق حمزة وأدهم خنجر، وقاوما الانتداب الفرنسي قاتلين، لصّين، قاطعي طريق. وحده النشيد الوطني، كان لازمةً لا ندخل الصف بدونها. ولم يبق منه اليوم في ذاكرة أبنائنا... إلا موسيقاه تصدح دون الكلمات في مطلع كل احتفال. قليلٌ جداً من طلابنا، من يحفظ نصه كاملاً سواءً في الجامعات أو في المدارس. وحده ما زال في ذاكرتنا، أجمل ما حملناه معنا من عهد الدراسة إلى عهد المقاومة... من هنا تبرز إشكالية هامةٌ، حريٌّ بواضعي المناهج المدرسية، ومعدّي كتبها، الإلتفات إليها، كي لا نترك لوطننا أجيالاً لا تنتمي إليه إلا شكليّاً، في بطاقة الهوية، لأنها شعورياً ونفسياً تدين بالولاء و الوطنية لصالات الانترنت و الحاسوب، أجيالاً لم تحفظ يوماً نصاً يتغنىّ بالوطن، يمجّد أبطاله، يكرّم علماءه، يقدّس ذكرى شهدائه، الذين سيّجوه بأجسادهم، ورووا ترابه بدمائهم.

لماذا تغييب المقاومة عن المناهج؟

لا تحتاج أجيالنا منهجية حديثة، رمتها إلينا أوروبا، بعد أن تركتها منذ ثلاثين عاماً، منهجية فارغة من أي حسّ وطني مقاوم. زعم تربويون كبار أن إصدار كتاب تاريخ موحد مشكلة شائكة؛ للخلاف العميق بين الآراء حول أهم أحداث القرن المنصرم فتركوا للمدارس الطائفية، أو للطوائف المدرسية، حرية إصدار كتاب التاريخ الخاص بها. لا ننكر أبداً وجود اختلاف في الرأي حول أسباب بداية الحرب الأهلية، التي كانت عبئاً أسود في تاريخنا، لا نعتزّ به أبداً؛ لأنه لم ينجح في بناء وطن كما فعلت الحركة الجادة المسؤولة، التي نشطت مع مطلع ثمانينات القرن الراحل... "المقاومة". وهنا محطّ الكلام. لِمَ لا ندع جانباً ما اختلفنا فيه، ونلتقي حول ما اتفقنا عليه؟ وقد عذر بعضنا بعضاً في نقاط اختلافية، لا يفترض أن تفسد في الودّ قضيّة. لقد أمّنت المقاومة نصاباً اجتماعياً كاملاً في جلسة الثقة المفتوحة على مدار الساعة في أربع جهات الوطن. فلماذا تغييب هذه المقاومة، نصاً أدبياً، وتاريخياً أو مستنداً جغرافياً... عن مناهج التربية والتعليم في هذا الوطن؟ يجب أن نورث أبناءنا، احترام رموز وطننا، و حب شهدائه.

يجب أن نعلمهم قراءة الصفحات المشرقة التي أضاءتها المقاومة جهاداً وتحريراً لم يسبقها إليه أحدٌ في تاريخ الصراع من أجل فلسطين منذ خمسٍ وخمسين عاماً. إن أمةً لا تحترم مجاهديها، و لا يعرف أبناؤها شيئاً عنهم، هي أمةٌ آيلةٌ للسقوط، لأنها تقف بأبنائها على حافة الهاوية، هاوية الخواء النفسي، الذي تبرز مظاهره في الاستسلام السريع، المريع... لأول غازٍ طامع، محتل، وفي التاريخ شواهد.

إنّ تاريخ الأمم الأخرى ببطولاته، راسخٌ في نفوس أبنائه، عارٌ علينا، إن لم يحفظ أبناؤنا صفحات تاريخهم الحديث المشرق ببطولات مقاوميهم. ألا يتسع كتاب التاريخ لدرسٍ واحد تحت عنوان "الإستشهاديون في بلادنا" و تبدأ اللائحة بفاتح عهدهم "أحمد قصير" و تنتهي عند آخر كوكب استشهادي قبل التحرير "عمار حمود". و من يختلف معنا في أدلة الصوت والصورة الموثّقتين؟ أليس من العيب و العار أن تكبر أجيالنا، وهي تحفظ الأغاني المجنونة عن ظهر قلب و لم تسمع يوماً بالنشيد الوطني إلا من خلال مظاهرات ساحة رياض الصلح مؤخراً...؟ أليس من المؤلم حقّاً، أن أجيالاً ستأتي و هي تجهل تضاريس خارطة الوطن المقاوم... فلا تعرف موقع الدبشة، و لا الجبل الرفيع، أو جبل الريحان، لكنها تعرف من خلال أفلام الرعب و رعاة البقر الأميركية (كاوبوي) كل مناطق الشمال الأميركي... أو مدن ولاية تكساس و أريزونا و نيويورك؟؟ حول هذه المقاومة الشريفة المجيدة، وأبطالها الأبرار، التقت آراء الأغلبية الساحقة من أبناء وطننا، مفكرين، أدباء، شعراء، فنانين. لقد أنتجت هذه المقاومة تحريراً عظيماً، واكبه نتاج فكري مميز، أدبي، إعلامي، فني، و هذا النتاج لا يحمل صبغة طائفية، انه لكل الوطن ومن كل أبناء الوطن. وما علينا إلا أن نبحث عن هذا النتاج، و نخلده في كتبنا المدرسية وقلوب وعقول تلاميذنا. و من يبحث يجد، ومن يمشِ يصل لكي يأخذ النص المقاوم مكانه الطبيعي في مواد منهاجنا التربوي كافّة.

دعوة مفتوحة لمعدّي المناهج المدرسية؟

يحرص الإسرائيليون في تدريس مادة الرياضيات مثلاً على زرع بذور الحقد على العرب فيطرحون معادلة لشرح أحد المفاهيم الرياضية كالطرح مثلاً: هجم جندي إسرائيلي على موقع فيه خمسون عربياً... فقتل منهم ثلاثين، كم عربياً بقي؟ وتعنى صياغة المسألة بالأبعاد النفسية لعمر التلاميذ، فيحرص واضعها على دفعهم إلى الإيمان بقوة جيشهم و تفوقه عبر استعمال نعوت تحقّر العربي، وأرقام تبرز ضعفه إزاء قوتهم.

كما تشير هذه المسألة إلى أن عدوّنا يرى في التربية المدرسية، سلاحاً هاماً... لماذا لا نراه كذلك؟ لماذا يجب أن تكون الغربة قدر الطالب اللبناني عن تاريخ بلده المعاصر، المشرق بانتصار القرن العظيم وعن أدبه المقاوم... هذه الغربة المفروضة على المنهاج التربوي، الذي يقدّم إلى طلابنا جثةً هامدةً لا روح فيها، إذا ما خلا من مادة تبني فيه الإنسان، شجاعاً، جريئاً قد اكتسب قيماً رسالية، إنسانية، من نصٍ يعنى بهذه الجوانب، في نتاج تجربة إنسانية فريدة، هو نتاج المقاومة.

لماذا غزت الآداب العالمية وحدها منهاجنا التربوي، واتخذت بعض الروايات صفة القداسة المدرسية؟ فلا مكان لرواية أخرى في الصف الأول الثانوي قرب رواية "آنا كارنينا" أو "آلام فرتر"؟ هل يفتقد أدبنا العربي أو الإسلامي رواية تكتمل فيها العناصر الأدبية فلا تستحق من طلابنا أن يفهموها قراءة وتحليلاً؟؟

لا بدّ من الإشارة هنا إلى أن انتشار المدارس الإسلامية حاول سدّ ثغرة بسيطة في هذا المجال... حيث نشط البحث عن المعلم الرسالي، الذي يفترض أن يمتلك مخزوناً ثقافياً وان يحمل همّ التبليغ و نشر ثقافة المقاومة، الذي يستطيع القفز به عبر نوافذ المواد العلمية أو الأدبية، إلى نفوس طلابه، ولكنها ثغرة تحتاج إلى كتاب رسالي يتضمن نصاً أدبياً أو علمياً يستوحي إنجازات المقاومة... وهذا ما يجب أن يسعى إليه القيّمون على وضع المناهج التربوية وعلى الاهتمام بنشر "التعليم-التعلّم" المقاوم. عبر نصٍ لا يكتفي بشواهد لغوية سريعة، كنا نلجأ إليها في شرح قواعد اللغة العربية، في محاولة بدائية من التأسيس لعلاقة حميمة بين تلاميذنا على مقاعد الدراسة و مجاهدينا على تلال المقاومة... إننا نحتاج -ونستطيع لو سعينا- لمادة التاريخ (أحداث جهادية) و الجغرافيا (ساحات المواجهة المظفرة) و الرياضيات... والعلوم على اختلافها... نفتح صفحات كتبها، لشرح جهاد المقاومين وإغناء وجدان تلاميذنا و عقولهم به؛ لأنهم غد من امتنا ونجوم مستقبلها المحتاج حتماً لقيم المواجهة التي تمحو من تاريخنا صفحات سوداء، تستبدلها بأخرى ناصعة بيضاء. علينا أن نعي جيّداً أهمية اعتماد طرح النص المقاوم في أسئلة الامتحانات الرسمية، في مسابقة اللغة العربية و آدابها، لأن الرهبة التي تفرضها هذه الامتحانات ترسخ في النفوس الناشئة مفاهيم هذا النص، بعد أن يكون حتماً قد أمعن في تحليلها و قراءتها. و الموارد كثيرة في هذا المجال، نستطيع الاستفادة، من خطب قيادي المقاومة، في مناسبات الانتصار الآتية مع تأبين شهدائها أو في المناسبات الدينية، كيوم العاشر من محرم أو يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان أو... هي دعوة مفتوحة لمعدي كتب المنهاج التربوي ودور النشر المدرسية، كي تسموا أهداف الدراسة، وترتقي بجمال مضامين النص المقاوم المقومات النفسية لأجيالنا الآتية، كي لا يعجزنا السؤال غداً: "ماذا تركتم لنا من إرثٍ حضاري؟ هلاّ تركتم لنا على الأقل ما تركه آباؤكم لكم، من ولاءٍ لهذا الوطن؟؟

> يجب أن نعلم أطفالنا قراءة الصفحات المشرقة التي أضاءتها المقاومة جهاداً وتحريراً لم يسبقها إليه أحدٌ في تاريخ الصراع من أجل فلسطين منذ خمسٍ وخمسين عاماً. إن أمةً لا تحترم مجاهديها، و لا يعرف أبناؤها شيئاً عنهم، هي أمةٌ آيلةٌ للسقوط، لأنها تقف بأبنائها على حافة الهاوية، هاوية الخواء النفسي، الذي تبرز مظاهره في الاستسلام السريع، المريع... لأول غازٍ طامع، محتل، وفي التاريخ شواهد

● كتب اجتماعية

تربية الطفل وفقاً لآراء إبن سينا والغزالي والطوسي

الوفاق/ وكالات

يُعدُّ هذا الكتاب لمؤلفه الكاتب محمد العطاران والصادر عن الدار الإسلامية من مجموعة الكتب التي لا يمكن أن يتجاوز المرء قيمتها، إذ أنَّ كثيراً من المؤلفات أو المحاضرات التي تتناول موضوع تربية الطفل تنحصر في تحليل هذه المشكلة، لكنها لا تقدّم حلولاً عملية تجمع بين القرآن والسنّة النبوية الشريفة إضافة لآراء المفكرين المسلمين وبعض الغربيين مثلما فعل هذا الكتاب.

يتضمّن الكتاب بعد المقدّمة فصلاً يتناول وجهات نظر المربين المسلمين حول الطفل تمهيداً للدخول إلى التفاصيل التي اعتمدها المربّون المسلمون كاستدلالات الغزالي المدعومة بالآيات القرآنية، وأفكار ابن سينا المرتبطة بالثقافة الإسلامية، والشيخ الطوسي الذي اعتمد الآراء الإسلامية بما حمله الإسلام من شرائع، وأسماءً أخرى كالقابس وابن خلدون والشهيد الثاني وغيرهم.

يتناول الفصل الثاني أهمية فترة الطفولة والتي يتّشعب الحديث فيها لفقراتٍ عديدة، منها ما يحدث عن التغيير من عالم الأجنّة إلى الطفولة ثم الصبا ثم الشباب فالشيخوخة، وهذا تطور ذو وجهين أحدهما عضويٌ والآخرُ معنويٌ، ويتركّز الكلام حول أهمية الطفولة التي تشكل أركان شخصية الطفل..

يتناول الفصل الثالث الخواص النفسية للطفل وتعالج هذه النقطة نظريات أربع تهتم بالطفل كإنسان منذ ولادته، ودراسة طبيعة السلوك والاستعداد الشخصي لهذا المخلوق المجبول على حب الخير تارة وميله باتجاه الشر تارةً أخرى.

الفصل الرابع يتناول مرحلة نشوء العادات في الطفولة فيُفردُ الكاتب لهذا العنوان مجالاً واسعاً إذ تشكّل عناوينه الفرعية والتفصيلية ما يقرب ثلثَ الكتاب، ذلك لأهميّتهِ وما قدَّم فيه من آراءٍ للغزالي والخواجة الطوسي وابن سينا وبعض المفكرين الأوروبيين، حول كون العادات أساساً للتعليم فيما لو أصبحت ملكاتٍ في نفس الطفل فهي قادرةٌ على صقله في الاتجاه الصحيح.

أمّا الفصل الخامس فيتناول مسألة العقوبة البدنية ومؤيّدوها: الحديث في النظرية الأولى "لمعارضي العقوبة البدنية للطفل" يتمحور حول أربع نقاط، ومن طروحات مناصري هذه النظرية "أن الألم شر والعقوبات هي بالضرورة شرور لأن ليس لها أثر سوى الألم".

وتنتهي هذه النظرية بشرح مفصل تحدّد فيه ثمانية شروط للعقوبات البدنية مع التحذير من اللجوء إلى الضرب والتعذيب. أمّا النظرية التي تؤيد العقوبات فتعتمد على آراء المفكرين المسلمين المُؤيّدة بالآيات القرآنية وما جاء من الأخبار، مع شرح الأسس الفقهية للعقوبات التي تبيّن أن ضرب الأولاد هو للتأديب لا لإجراء الحد عليهم كما يقول الإمام الصادق(ع): "لا حدَّ على الأطفال ولكن يؤدّبون أدباً بليغاً".

كما يعدد الكاتب خمسة عوامل مهمة في التربية وهي: "الوراثة، والتغذية، والأسرة، والمعلّم والمدرسة، والأصحاب".

ويختم في النهاية بتبيان الأهداف الدينية للمسلمين من التربية، خصوصاً تعريف الأطفال على القرآن الكريم لأنه محور تعليمهم، ولا بدَّ من اتباع أفضل الأساليب لأجل الوصول لهذه الغاية. ويتحدث الكاتب عن القصة كأسلوب من أفضل الأساليب، لمّا فيها من العبر، وتعتبر من الأساليب الناجحة التي اعتمدها القرآن الكريم.